

# المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر  
الجزء الثالث



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

الجديد

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة  
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو  
الالباب

# المسألة

١٣١٥

فيشر هبدي الذين يستمعون القول  
فينبهون أحسن أولئك الذين هداهم الله  
وأولئك هم أولوالباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و « منارا » كفار الطريق

مصر سابع شوال ١٣٣٤ - ٦ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٤ هـ ٢٩ أغسطس ١٩١٦

## آراء الخواص في المسألة العربية

(واسققلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام عيد الفطر تيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي  
بمصر في المسألة العربية واسققلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يقيصر  
في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها  
بالكلام كتوسمهم بأنظام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر  
والمدارس العلماء وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأي مذكرات



ومجاورات طويلة في هذه المسألة جدية بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأحقابنا الآتية، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاوره منها وأجمعها للمقاصد، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها، وبذلك تم الفائدة من تلك الأحاديث بنير تكرار ولا عيب. وهذه المحاور كانت بيننا وبين أستاذ معروف باعدهال الفكر واستقلال الرأي؛ وقد وقعت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر، وما هي ذي - ونعبر عن الأستاذ بحرف ذ وعن أنفسنا بحرف ذ: ذ - ما رأى الأستاذ في استقلال الشريف أمه مكة بالحجاز، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد، حتى أن أخانا الشيخ أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه! وما أظن أن الأستاذ على رأي هؤلاء، ولا أنك تقول إن هذا الأمر ليس بندي بال.

ذ - صدقت، أن هذا الأمر ذو بال، وأنه قد شغل مني البال وهيج البالبلال. وإنني مخالف لمؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الأشياء، ولا يصدقون من الاتباء إلا ما يلد لهم، ولا يقبلون من الآراء إلا ما يوافق أسوأهم، ولذلك راج بينهم رأي تلقوه بالقبول، وهو أن الشريف لم يعلن الاستقلال إلا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوقعتها فيها الحصار البحري أو كاد؛ فقد امتنع بذلك وصول الأنوات إليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد، حتى قيل إن أردب القمح صار في مكة بيضة جنهات، فمذر الشريف في انظار دهمي الاستقلال جلي ظاهر، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في إيجاد حكومة عربية، ولا طمع في خلافة قرشمة، ولولا ذلك لقاتله الدولة هذا هو الرأي الرابع في البلد.

أما أنا فلا أجزم بغير هذا الرأي ولا برده، وإن كان معقولا في نفسه، لأنني أعلم أنه قد وجد في طم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية، ولكن لم أقف على

١٤٦ هل يمكن أن يكون الحجاز موطن ملك مستقل (المنار: ج ٣ م ١٩)

كنها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لإنشاء دولة ، ولا القوة التي يعوق عليها استقلال الخلافة ، وحيوة أهل موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فإذا منع عنه القوات من هنا وهناك مات أهل جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لأفنى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل أنها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة أماره الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . وإذا زال استقلالها وفرضنا أنه أمن على استقلاله من صاحب عسير وصاحب نجد فإنه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يحدد الخلافة الإسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الأرض ، لأن الاستقلال بأمر الملك والخلافة يعوق على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منها ؟ فلهذه الأفكار ترأى مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم مناقشون جزيرة العرب وشؤون أمراءها ، وأعلم مناقشوا الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجمعياتها . كما أنه أوسع مناعلاً بأحوال الدولة الدولية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبهاً لما يعجدها من أخبارها ، يعترف له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وإني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تسكن حالة المجلس أو الوقت ، أسمع السيد بالافاضة في ذلك ، فمسي أن نستفهد الآن ما فاتنا من قبل . - لم أنس أن باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة ، فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والإنسان يفكر في وقت ما ينساه في آخر ، فإذا ذكره مجدته تذكرك ، وإني لا أبخل على الاستعاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيها فائدة له ، فإذا حدثته بشيء لم يره كافها فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس



بإعادة شيء مما كنا ألمنا به من قبل ؛ وأبدأ بدمان ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من رأى الذى دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالتبول قد سمعته من غيرك أيضا . وهو رأى كما قلت معقول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولا سيما ان كان الاستقلال صوريا كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس عن إنقاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وإزالة الموانع التى منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سهيل إلى هذا وذلك إلا بإزالة الحصر البحرى عن ثغور الحجاز ، الذى كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكثرة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحرى الذى ضربته على جميع السواحل العثمانية ؛ وسمحت بنقل القوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها علمت بارسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال القوات اليه لان الجنود يستفهمون منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أهدائها ولكن تمويها لجيوشها غير معقول ، وإنما المعقول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجعلتها من مهادين الحرب أيضا ، ولكن إزالة الشريف أسير مكة للسبب الذى أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناوأة للدولة التركية أو الاتحادية لانه تصد لقتال جنودها ، ورفع سهادتها عن البلاد التى هو أميرها ، فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر في الحجاز ونبت سيطرة هذه الحكومة الاتحادية ظهريا ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صورى وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لا يزال مخلصا لهذه الحكومة وأنها هي راضية عن فعله وحاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن إزالة منع القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثي . ذ - اذا لا يزال فجرد الدولة جيشا لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركى حصارا ولم يهاجمه القتال ؟

د - أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما المعجز وإما العقل، أما المعجز فهو الآن غير بعيد، لأن جنود الدولة متفرقون في عدة مهادين من أوربة وعدة مهادين في الاناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تستغنى عن جيش كبير يصلح ماعطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، ويسير قسم منه لانتفاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مركز تمويته وإمداده في الشام إلى مكة. وأما العقل فيقتضي عدم القصدى لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء المعجز، لأن قتاله يضيف الدولة في الميادين الأخرى، وربما يستتبع خروج حرب الجزيرة كلهم أو جالهم عليها، فينتسح الخرق على الراقع، والسكوت هنا لا يضر الدولة الآن، فإن انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تقتصر في الحجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أحلافها فلامعنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، إذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها، بل المقول أن يتمنى كل مسلم من ترك الدولة كبرها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجحنا أن العقل يمنعها من قتال الشريف إن لم يمنعها المعجز، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت؛ ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكاً واقفلوا مالكم

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الإصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصد عند ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصد في العرب، فكان المقول أن يشبهوا العرب الولايات صدق وعودهم بالإصلاح ويفوا لهم بهودم التي عقدوها مع السيد الزهراوي عقب عقد المؤتمر العربي، ويذهبونهم على ذلك من



## (المنار : ج ٣ ص ١٩) سبب إرسال أنور باشا الجيش إلى الحجاز ١٤٩

الاصلاحات الداخلية ما يمكن به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الأحقاد » وإن كان أمثالنا لا تصدق على طبائعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشتع مناظرها ، فبعد أن جندوا جميع شبان سورية والعراق وفرقهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالردنهل والبلقان والآنضول - وبعد أن صادروا الأموال والقتال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولى العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين ( السوري والعراقي ) وينفون الكبراء والافنياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم .

وبعد أن رأوا مآربهم هذا قد تحقق بنير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فإنهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز ما فعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب .  
 ذ - إنني أعلم أن السوء سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سمعهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكنني رأيت قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تسمت هطفه عليهم من بعض ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أظن أنه كجهمور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتتوقعون أن يكون لها تأثير سيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب .

د - نعم إنني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لأن الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبقصد اصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا لمسلمي سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من الضمير بالمرء في الشام ، لأنه ثبت عندي بالتواتر فكتمت تلك المقالة وأطلعت عليها



## ١٥٠ خداع أنور الشريف حميد ولأمراء العرب ( المندرج ٣ م ١٩ )

بعض إخواننا قبل أن نجيئنا بالبرقيات بنبا استقلال الشريف وإن نشرت بهذا ، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز للقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وإن قول أنه جاء بصنيعه جميته الشريف على حميد من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليحمله خلفا لشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة . فذاصح هذا الظهور فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفسد الكثرة التي يطلبونها ، فإذا أمكن لشريف حميد وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤبدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد اضفاف حرب الحجاز أن يستبد بالفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكره ولا صيت قبيل ينشر ، ثم انهم بعد الفكك بالشريف حسين وأولاده يفتكون بالشريفيين حميد وجعفر ، كما فتكوا بصديقي الشريف حميد (عبدالكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوى) إذ لولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبدالكريم أن يفتح الزهراوى بالمجى ، من باريس إلى الآستانة بعد أن أندر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطر أعلى حياته ، ولم يكن الشريف ضامنا له الأمن على حياته فقط بل كان ضامنا له الإصلاح الذى وعد به الاتحاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلى هو وعبدالكريم أن أكتب إلى الشريف حميد كتاب شكر لحسن سعيه في هذه السبيل

إننى على ما أعلم من سوء نية الاتحاديين وخبت ما أضمره للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عندما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأصدقاء يذكرون أننى قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا لصلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فإن أنور باشا هو الذى تولى في أول هذه الأزمة استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمراءهم وزعمائهم من المكتوبات العربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات الباممة والخاصة ، ومنها الكتاب الذى حمله رسول خاص إلى عدوهم الذى لم يعترفوا له بصفة رسمية قط - أعني السيد الأدريسى - وهو يعظمه فيه ويحمله



(المفاز : ج ٣ م ١٩) اخلاص الشريف للدولة حتى في عهد الأنحاديين ١٥١

ويظهر الثقة به ، ثم علمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة  
نجدة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة  
المنورة وهي التي محاصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى  
الحجاز بمشترات الآلاف وتوزع في مدينتها وثغورها وهو يعلم كما تعلم وتعلم الدولة  
أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوروبية ، فلم يبق لأرسال الجنود إليه  
سبب يقتل - والدولة في أشد الحاجة إلى الجنود - إلا القنكول بمر به والفتك  
يشرفائه انتماءً لبرفامج جمعية الاتحاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما يعرفه ،  
وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك  
أحد غلاتهم المتحمسين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي  
الذي معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكريه في العجروش  
بقتال العرب ومحاولة الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلماذا تحولت الحملة الحجازية  
التي ألفت إجابة لطلب أنور باشا لاقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة محاصرة جنوده  
في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوا

ذ - إذا كان الشريف عالماً من قبل بما نضمه جمعية الاتحاد والترقي للعرب  
طامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الأنحاديين حتى أنه حارب السيد  
الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السعود كذلك

د - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لا تحتمل التأويل ، وقد كان أولاً يقول  
للأنحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشايقتهم  
وبكراهة السيد الادريسي أن يكون ذا سلطة في هجير ، وينقل عنه وعن أهل بيته  
أنهم يقولون أنهم لا يؤيدون الأنحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما  
يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاعتصام بها وإن جارت على العرب  
وغيرهم أرجح من مقاومتها ولو سراً لئلا تنفض المقاومة إلى العفرق الذي يضيع  
به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافي ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي  
طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي  
والملك لم يكن مرضياً عند الأحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

## ١٥٢ الرجاء في الدولة والهأس منها (المشار: ج ٣٣ ١٩)

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفذية فقط إلا قتال العرب ، وأما ما لم يصل إلى حيز التنفيذ فنبذني أن يكون حزبه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجنسية وظلمهم للعرب ، ولكن نجله مبعوث مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر المصطفى في مجلس الأعيان من حزبهم ولم يكن كل هذا شيئاً ، ولا صد الاتحاديين من محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون للشريف الأكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في حرب الحجاز ما ليس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آنفاً أننا لا ندرى متى عرف الشريف الأكبر حقيقة حالهم وبئس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه بئس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً ولعلنا لولا هذا الهأس ما نهض بهذا الأمر

ذ - ان من الناس من يرى ان الدولة ماسمت من خطر الهأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت به ركناً من أركان أحد الحائزين العظميين اللذين تتألف منهما الدول الأوروبية الكبرى ومشايخاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالقتها لألمانية ان لا تقبل هذه صليحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لا بد فيه من رضا الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ؛ فكيف يمتل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أهل مناجالها وبشروط محالقتها التي منها ما ذكر

د - إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وان غلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أهداؤها المقررين لشرط الصلح ، فإن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انقصر الألمان مع أحلافهم ونحسكروا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو منقول ، وأما الرأي الذي يقابله في الغرابة وهو زوال استقلالها في حال انقصارها وانقصارهم فلا صحابه وجه جدير بالقائل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر لجي من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأفقرت الأمة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء مقعدة ، وكان هجر ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه



الحرب الثاني أقرناها وأقرنا أمنها بسد باقتراض الملايين في كل عام؛ وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربح الدين يستغرق معظم الميزانية التي لا بد أن تنفق عما كانت تقصاً فاحشاً، ومن البديهي أنها لا تنجح بمدة الحرب من يفرضها كما كانت تنجح قبلها؛ وليس أمامها من الأمم الفتية إلا الأمة الألمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدوائها ودول أحلافها بمعظم ثروتها، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الإفلاس ما نل به شعبها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دوائها يدبرها رجال الألمان المليون والفنيون — فإذا تدبرنا هذا وعلمنا أيضاً أن الدولة قد جعلت حريتها وبحريتها في أيدي الألمان وجعلت تعلم لغتهم إجبارياً في جميع مدارس المملكة الأمهرية وغيرها، وتذكرنا أن الألمان يملكون عشرين كيلومتراً على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد، فأى استقلال يكون للدولة بعد قبض الألمان على إدارة المالية والحربية، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الأراضي الواسعة التي تضاهي مساحة مملكتهم؟

كان لبعض الألمان المقيمين في بلجيكا قبل الحرب ملعب أو ملاعب لكرة ملعب فيها أهل البيت والعيال، فلما اقتحم الجند الألماني بلاد البلجيكي المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بنى بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمة المكشوف خبرها عن غير أركان الحرب من الألمان، وإن المسافة بين الملعب وبين الحصون البلجيكية هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون. فإذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملعب الكرة لعيال ألمان في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألمان في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها، فهل نقصور أن تسلّم من الخطر دولة ملك الألمان التصرف في جميع قواها المالية والحربية والعلمية والفنية، ويملكون في قلب مملكتها تلك الألوف من الأموال التي هي محل العمران المنتظر فيها؟

ولدينا عبرة أكبر من هذه العبرة وأظهر وهي ما تله المينا المتطاف في جزء مارس من هذه السنة من مقالة كونيوس ورك (الأميرة الاندكازيه) عنوانها (ملك الاندكازيه وأميراطور الألمان) قالت فيها عن الملك أدوارد ما نصه:

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ، وتكلم من الإدارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كإندار ألمانيه لاستفدنا فائدة كبيرة ويحبذا لو حكمنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا » قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معه لاني لم أره بعد ذلك » اه واستقلت الامهه بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضرر العداء لألمانيه . وإثبات هذه القضية هو الذي كفت لاجله مقاله

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتديراً يتمدر عليها الخلاص من الألمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الإدارة وهي في جزيرة بحمها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل بقيسر للدولة العثمانية الضعيفة الخلاص منهم بعد ما ذكرنا من تعسفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن همة الحرب الحثيئة هي الفنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار ما يشبع مطامع ألمانها ويتسع مجاه لشعبها الكثير ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانية ، وقد كانت دول الاخلاف تعارضها في استعمارها الاقتصادي مع إبقاء للدولة العثمانية على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الأوربيين .

ذ - والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجهل الاتحاديون فكيف رضوا إذا بموالة الألمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيهندلوا دماءهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د - لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسروانها من قدماء الوزراء والاعيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانية ونحكيهم في الدولة لكان هذا السؤال أكثر انجهاً والجواب عنه مقسراً ولا أقول مقعزراً . أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لغير الاسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود



(المآثر : ج ٣ م ٩ ) أدلة من يقول ان الاتحاديين باهوا الدولة ١٥٥

الجرمانيين - فالجواب سهل والناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منهما جواب  
سبب تسلب الاتحاديين الدولة للامان

(الرأى الأول) رأى سمع كثيرا من خصوصهم، وهو انهم جماعة من طلاب  
المال والثروة علمهم أعلم البشر بطرق تحصيلها - وهم اليهود - كيف يكونون من أغنى  
أهل مصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم يهملون الدولة الألمانية الفنية ، ويستشهد أصحاب  
هذا الرأى على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتميزها لبدوا عليهم  
فيها بوضع مالهنا على أساس ثابت يكثر به الدخل ويقب الخرج، ولو أرادوا ذلك  
لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أساندهم وأخوانهم من اليهود الأصليين والدونيه  
(الذين منهم جاويد بك الذى جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم  
اغتنموا فرصة ماسمونه (حركة الارتجاج) فمزقوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من  
أمواله وجواهره ونحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثت الثغرات من  
أهل الأسقانة انهم كانوا يدخلون قصر (بالدز) فيملئون جيوبهم من تحفه المرصعة  
بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤى بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات  
المرصعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السوارى) ثم اغتنموا فرصة وصول  
جيش البلغار إلى شطاحه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان  
وتحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنا  
وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلغار الاسقانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض  
بمشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسة مشهور أمرها وكثر الكلام في  
الاسقانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها بقصوفون فيه بضروب من القصر  
منها النفقات السرية التى لا تذكر فى الميزانية وأعظمها ما يخصص للحربية  
والدخايل ، وهم يشترون السلاح والذخائر والخياب والاحذية للمسكر بشمن  
ويقيمونه فى دفاتر الحربية بشمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل  
على هذا انهم أنفقوا فى فظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان  
ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة فى البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر  
ما يتوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مصادرهم الأمة فى هذا الايام بما كانوا

## ١٥٦ رأى أصدقاء الأنحاديين في التحالف مع الألمان (المعارف: ج ٣ م ١٩)

يصادرون به الاغنياء منذ صار أمر الدولة في أيديهم — إذ كانوا يهددون كل  
فني بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدي الارتجاعي إلا أن يفقدى نفسه بما يناسب  
مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذي كان ناظر الحربية في العهد الحميدي  
مئتي ألف ليرة ومن زهدي باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم اتهم  
فرضوا على كل من دخل جميعهم دفع اثنين في المئة من جميع دخله وذلك فوق  
ما فرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال هاجمه  
الحول ، نعم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم ما يمكن  
كتمانه من دخلهم ، وبما لا يمكن كتمان شيء منه رواتب موظفي الحكومة وقد دخل  
كلهم أوجالهم في الجمعية ، وقد باعوا البوسنة والمهرسك وطرابلس الغرب بمدة ملايين  
فالذين يعرفون سجنهم هذه بالتفصيل يعتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم  
من حوائجهم إلا جمع الثروة وهم لا يضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم  
فلذلك باعوها للألمان بهذه الصفة التي استعملوا فيها جميع قوى الدولة في قتال  
أعدائهم ، وستكون كذلك في أبدى الألمان ان انقصروا يستعملون نفوذ الأنحاديين  
وقوتهم على السلطان ودولته في استعمار المملكة العثمانية ويؤيدون الأنحاديين على  
خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب برائتهم في كل شيء ويستغنون  
عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الديني ويأمنون معارضة الدول فهصرحون  
بإزالة هذا الاستقلال المصري الخادع

(الرأي الثاني) رأى أصدقاء الأنحاديين — وهو مبني على رواية لا يكاد  
يعرفها إلا قليل منهم : سندكرها في بيان هذا الرأي — وهو أنهم لم يبيعوا المملكة  
ببها ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ما أخذوه من الأموال للجمعية قصدوا به ان  
تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم  
المحافظين على العقائد المعهنة المنافية لما يريدون من التجديد المدني للدولة والامة ،  
وخصومها من الأحزاب السياسية المخالفة لها في مذهبها السياسي والاجتماعي كفتريك  
المناصر وفهر ذلك ، وأما ما أعطى لبعض زعماء الجمعية كالدكتور ناظم وأحمد رضا  
فهر تمويض ما خسرناه في سبيل الجمعية ، وما هذا ذلك كسمرة القروض والامتيازات



## (المنار: ج ٣ م ١٨) الاتفاق السري بين الأنحاديين والألمان ١٥٧

فهو قانوني. ولما رأوا أن الدولة ضئيلة فقيرة لا يرجى أن تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للتقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى أن يكون نهوض الدولة من قبلها، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة - لما رأوا أن الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تتولى دولة أوربية قوية تنظيم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالديل الأوربية والأمم الأوربية من كل وجه، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانيا - وهي أرقا من علماً وقوة عسكرية - فما زالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً مريباً قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الجرمانية تكون تابعة للاتحاد الألماني في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله، وإيماناً منهم بالاجمال أن الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النسة، ولذلك نكثوا جرائدكم من المقابلة بين الترك والمجر وتنبأوا بما قدّم أولئك وأخروهم ومن أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداية أن مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صديق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان، وأن الأنحاديين ما كانوا يعجزون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لا مرد له، فكانوا يجهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا في سنين كثيرة، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة، وقد كان المعارضون في المجلس أقوياء، ومعظم الأمة على مذهبهم ولذلك أستقطوا الأنحاديين وانتزعوا منهم السلطة، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذي انتزعها لم يعزل أمرها ولا تيسر له أن يكفل وزارتي الشيوخ مختار باشا وكامل باشا، فذلك تيسر للأنحاديين بقوة ثروتهم وتكافلهم ومساعدة اليهود وألمانهم لم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل، ومن الغريب أن أنكلترا وروسيا وفرنسا المعارضات لسياسة ألمانهم في الدولة لم ينصرون الأحزاب المعارضة للأنحاديين ولا وزارتي مختار

## ١٥٨ طلب جبل الترك من الألمان كالجبر من النمسة ( المنار : ج ٣ م ١٩ )

باشا وكامل باشا فكان هذا ضمفاً من حيث هو رجحان للسياسة الألمانية في الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكائره ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عدداً وأرسخ في الدولة قدما ، واكنهم خذلوا يخذل الدول التي يميلون اليها للدولة في حرب البلقان .

وهكلام في إيضاح هذا الرأي وتفصيل المسائل التي تتعلق به . يطول فنكتفي منه بما لا يخرج به من موضوعنا ، وما يخصه أن الاتحاديين متفقون مع الألمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليعرفوها بآلهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لا يمكن تنفيذه إلا بعد تدمير السفين الطوال لسكاننا آتفا . واني قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ م من يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعا إذ كان سفير الانكاي في الآستانة ورجال حكومته في لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافا في ذلك وان بعضهم يميل اليهم والى أحلافهم — كما هلنا ذلك من الكتاب الأبيض بعد ، فكان خداعهم للأحلاف في هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضهم هشرات الملايين مما ينخرون به وما هم في هذا الفخر بملوهم

### مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفي عنهم ما قررت من الخطر على الدولة في تسليم أزمة أمورها للألمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى طنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الألمان بمنزلة المجر من النمسة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون النموسيين بأعظم المفومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يكون الترك المقصوبون في الاسلام الذين تمثل دولتهم انطلاقا الاسلاميه متعدين بالألمان المقصوبين في دينهم المجدين في تعصير المسلمين في مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التي اكتشفها الانكاي هذا العام في نواصي الحكام الألمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاما لقيصر الألمان في هذا



المعنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه في الحث على اتفاق مبشرى الألمان البروتستانت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١)

د - اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء في الآستانة وغيرها وجميع السياسيين في أوربة ، وهم يتمنون خروج الشعب التركي من الاسلام ولو بالتدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركها ، لأنهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجري وغيره من الشعوب الاوربية . ويشاركهم في هذا الرأي غيرهم من ملاحدة الترك .

ولما كنت في الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة - وكانت معارضة للاتحاديين - مقالة في المقابلة بين الترك والمجر ، ونسأت من سبب ما بينهما من الفرق في العلم والمدنية مع الاتفاق في النسب ، ورغبت الترك في التشبه بالمجر وسلوك طريقهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ الى السيد الزهراوي رحمه الله تعالى في كتابة ردعائها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح للترك بأن يتركوهما معا ليكونوا كالمجر في كل شيء أو يتركوا الدين الاسلامي أو

(١) المنار : اننا نشرنا في ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب اليانا من بعض المقسمرات الألمانية أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التفتير وتغري العدواة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالي لان العرب أشد تمسكا بالاسلام وجنبا اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكافرة على ألمانيه . ثم نشرنا في ص ٧٩٩ منه أنه كتب اليانا من دار السلام ان حكومتها الألمانية هدعت مسجدين المسلمين ونضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارات الحسنة . ومن الغريب ان وكالة ألمانيه السياسيه بمصر بلفقنا بعد نشر ما ذكر ببضعة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما عزي اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لأصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن الحكومة بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافرا . ولكنها لم تكذب خبر القنصل بالا كراه الذي نشر في جزئه آخر.

## ١٦٠ مذهب الاتحاديين السياسى الخيالى ( المنار: ج ١٩ ص ١٩٠ )

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون ينقربون الى الاوربيين بالاحاد وبمكاشفتهم باعتمادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقى الترك . واجتهدوا فى استمالة نصارى السوريين اليهم بهذا وبايهاهم أن العرب المسلمين لن يفتقروا معهم لقمصهم الدينى

أمامذهب الاتحاديين السياسى فهو انشاء دولة تركية محضة معقدة بالعحالف الجرمانى ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا فى الجرمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركى المؤلف من عشرات الملايين فى الشعب الألمانى أو غيره

فـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون فى الدولة ستة ملايين ؟

دـ أنهم يمدون مسلمى القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب الألمانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى لا يرب ويترك وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الألمانى ، ومن أمانتهم فى هذا الخيال أن يملكوا مع الألمان الشرق كله أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدمون نفوذها الدينى فى سياسهم وحرروهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابغة التركية التى يربونها على الاتحاد وتخرىف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه فى كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويسقنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فبند ذلك يبنذونها بنف النواة ، ويجهلون يوم إلغائها عهداً من الأعياد ، فحاجتهم اليها مؤثقة كحاجة أحد ظرفاء السوريين إلى البرنيطة فـ بعيشك فكهننا بخبر برنيطة هذا السورى الظريف لعله يدفع عنى الرعب

الذى كاد يساورنى من تصور هذا الخيال التركى الاتحادى الغريب

دـ هو الدكتور . . قال انه بائس البرنيطة لأنها تزيد فى ربحه وفى احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يعنى أن يستغنى عنها ، وقد وعد أصدقائه بأن يدعوهم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انقضى عهده



(المنار: ج ٣ م ١٩) دين الاتحاديين الجديد الذي بدعون الترك اليه ١٩١١  
اجتماعهم بوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارياق  
حماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة  
ذ - أود أن نخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتل التأويل على  
كفر زعماء الاتحاد ، فإن بعض ما يدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه  
مسألة لا يجوز الأخذ فوها إلا بالهقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن  
يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر ~~كبير~~ ، وإذا أردت  
أن أحصى في هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية للدين ، وما نشره  
في كتبهم الجديدة ومصحفهم من المبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم  
السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون  
قد قرأت ما ترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة  
١٣٣٢ من المنار<sup>(١)</sup> ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج  
والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يعبر  
عنهم بكلمة ( قوم عتيق ) وصرح بعدم جواز العمل بملك الكعبة وهال ذلك  
بأنها ملوثة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين ( قوم جديد )  
وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعى لاهداد  
لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع  
المسلمين من رعايا دول النصارى والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين  
هم الذين حاربوا في البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسمد وجاويد ورؤف  
صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة » ثم صرح بأن  
هدد الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يعجزون مئة ألف وهم المسلمون  
الحقيقيون قال « أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف ( أى  
حزب الحرية والائتلاف ) والبطاركانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

( ١ ) نشر المقطع مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض  
الجل من هذا الكذاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا

الكذاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

## ١٦٢ فرض الأنحاديين من الطعن المشوه في الاسلام ( المنار : ج ٣ م ١٩ )

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو  
يقس جميع الترك التابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه في تلك النبذة المترجمة منه  
( ص ٥٤ م ١٧ ) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم خلفاء  
العرب ووضع أسمائهم في المساجد يعد إذلالاً للخلفاء الترك « الذين قدسهم الأحاديث  
النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلاني والبدوي  
وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدي ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تختير للترك قال  
« أما سمعتم الآية ( والعاديات ضبعا ) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش  
التركية ، فحمل هذه الجيوش هي أشرف وأقدس أضمافاً مضاعفة من شرافة وقداصة  
رؤساء وأشرف الشعوب الأخرى الذين قدسونهم وتحترمهم » اهـ وليس هناك  
رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربي -  
الذين ذكر انهم يملقون أسمائهم في المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون .  
الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الأنحاديون عبید الله أفندي مؤلف هذا الكتاب مدرساً في جامع  
آيا صوفية لينشر هذه الأفكار في شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة  
( البوايس والضابطة ) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يظن في جميعتهم  
أو بعض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتياً لا أوصراً أو بحاكمة قضائية أو عرفية ،  
ذ - ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، وتحريره للقرآن أشد تشويهاً  
وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الأنحاديين أن  
مسلمی الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثروا في نفوسهم ؟

د - حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، وبمقتضى أن يكون سبب غلوه  
هذا عن خبث ودهاء ، والذي يظهر لي أن لهم في مثله غرضين ( أحدهما ) فتح باب  
الجرأة للملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولاً وكتابة ليكون مجال القول عندهم  
واسعاً في الطعن في النبي ﷺ وفي الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوي  
وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة في هذا  
الباب كالدكتور هبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسي



(المنار : ج ٣ م ١٩) اعتقاد علماء الآستانه كفر الاتحاديين ١٦٣

جمعية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن ( كايغانى ) المؤرخ الايطالى فى النبى ﷺ ونشر كتابه فى هذه السيرة التى شوه جمالها وانقص كمالها بيهقانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير كبير حصد طلبة مدرسة الطب وغيرهم فى الآستانه (والفرض الثانى) فشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه اعلمهم بأنهم يقبلون كل كلام يقرأ عليهم فى كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والحديث مما تكتن محرفة ، والكلام فى هذه المسألة يطول فأكتفى منه فى هذا المجلس الذى طال علمك بروايتين من علماء الآستانه وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المنسترلى (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك فى الآستانه وهو الذى ترجم (الرسالة الحميدة) بالتركية ، وكان واعظاً فى جامع (آبوصوفية) ومدرساً فى دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذى صلى بالسلطان محمد شاد إماماً للجمعة فى (قصوره) عند زيارته لها ، وكان اسماء الاتحاديون بعد الدستور يحسدوا فى مجلس الاهوان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانه يصفونه بالنفاق بدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيقتلن العوام "نه راض منهم ، ولكن هذا الشيخ الكبر لما عرفنى حق المعرفة ووثق بى كان لا يبرعن بالاتحاديين فى الحديث معى بداره إلا بلبق «الملاحدة» وقد سألتى عن رأبى فى فطين افندى : «مسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت : ما الذى أثار هذه الشبهة فى نفسك حتى شككت فى إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال : يا سيدى يظهر لنا أن الجمعية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المحقق لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامة به ، ومن مسلم أما فطين افندى هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقد عنى بالعلوم الرياضية فصار مديراً للمرحمة الفلكى الذى أنشئ فى ضواحي الآسقاء وهو ذو همم ونشاط ، وسئنى فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التى براها نافعها فيخدمها لهذا خدما نافعهم ويقومهم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الواقع التى أقصها عليك : اقيت فطين افندى مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول للجمعية وأعظم رجالها نفوذاً فيها ، فلما أقيت عليها قال قد كنت هذا فلان يحكم بيننا ، ثم قص على أنه اختلف مع الدكتور فى مسألة مهمه قال : الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

## ١٦٤ الاتحاديون والجامعتان الاسلاميه والتركية ( المنار : ج ٣ م ١٩ )

الترقى المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم، اتبنا خطوات فرنسه (؟) في تجديد شباب الدولة والملة ( أي الأمة ) وأنا أقول اننا محتاجون إلى ابتباس الفنون عن الاوربيين طامة لا من فرنسه خاصة لأجل ترقية صناعتنا وحريلقنا ومايلتنا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فاننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فيه أكل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رثا باليالايينفع فلايد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثها ولا حاجة إلى بيان ماأبدت به رأى فطرن افندي بل أقول لك إننى أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عتميدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يشقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد هرقت رأى جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حتى هذا ، وكذلك رأيت كشمها من المحدثين يعتقدون أن زعماء الجمعية كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية برون أن في هذا خيرا لهم أو مصلحة للدولة والأمة ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

( الرواية الثانية ) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوريه زارنى قاض من قضاة الترك الاهلين ببيروت اسمه ( شوكت بك ) كان كثير الهمج بالجامعة الاسلاميه وإيهاهم مسلمى بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرهون بسواستهم إلى هذه الجامعة ، وكان ذلك في عهد وزارة مخمار باشا والناس يجاهرون بلعن الاتحاديين ولا سهيل إلى استماتهم اليهم إلا بابهاهم انهم يخدمون الاسلام ويجهدون في جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معى - بعد مجاملة السلام - السؤال عن مسلمى الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجامعة الاسلاميه ومايزعمه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمة في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالاحاد فيه مبالغه وامل الملعدين منهم لايزيدون على ثلاثين في المئة قلت : الظاهر أنك أسوأ ظنا منى فيهم ، فأننا أعنى بمن حكمت عليهم بالاحاد زعماءهم لاجميع من انتمى إلى الجبيهه ، فان لى أصدقاء كثيرين ممن دخوا في هذه الجمعيه لا ريب عندى في إسلامهم ولا في



## (المحاضرة : ج ٣ م ١٩) الشريف وعداوة الاتحاديين الاسلام والعرب ١٦٥

صلاحيهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حالنا ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو انطباعه بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له إنني اختبرت أكبر أولئك الزعماء بنفسى فى الآسقانه ووقفت على ما كان من اختصار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأى الزعيم الأكبر الدكتور ناظم الذى ذكرته فى الرواية الأولى قال نعم ! إن الزعماء لادين لهم «دين سر» ولكن مسألة الجامعة الإسلامية تفيد الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : إننى أعلم أنهم يشتغلون بتأسيس جامعة تركية لاسلامية عامه وقت بثوا دعائهم لهذه الجامعة فى القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الإسلامية لاعتنوا بتعليم اللغة العربية ونشرها ولكنهم يجاهدون فى إيمانها وكيف يتمارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، إننى طفت كثيراً من تلك الهند فلم أدخل بلاداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معى بالعربية ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داهية تحفزهم لتعلمها ، وأما اللغة العربية فدعوة تملأها الدين ، وهى زداد فى هذه الأيام انتشاراً فى الهند وجاوه إلخ ( خلاصة المحاضرة وفصل الخطاب فيها )

ذ - لقد أطلت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد اتقنعت مما سمعت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم معهودون بسؤالهم الضرور أنهم يستعلمون أن يهدوا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونها بناء آخر زينة لهم اليهود ووضع رسمه لهم الالمان ، وأن ذلك يتم لهم فى سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقة القديح التى مضت بها سنة الله فى خلق الأرض والسموات ، وأحب أن تلخص لى كلامك بجمل مختصرة

د - : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمه يعتقد أن الاتحاديين ملاحدة يكدون للدين الاسلامى على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية فمثلهم كمثل المنتقم فى حصن لعدوه وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على انتقامه ببنائه وبما فيه من الخيرات يضع الالغام تحته ليذمه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً أنهم أشد الناس عداوة للعرب وإن بفضهم لهم أشد من يتنصرون لهم والارمن لسبب ، أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

## ١٦٦ خلية الاتحاديين لسلطان والاحزاب التركية ( المار: ج ١٩٤٣ )

وتنازها أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها هدداً ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضريّة كثير من أصحاب المعارف المصريّة والافكار النيرة وما زالت بوادهم والبلاد التي هي أقرب إلى البدارة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيّلونه من تأسيس دولة تركية لادين لها لامة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر للاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تزيك بلادهم الخصبية المتعلمة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضمافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب ما لم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التي تسود عاصمة بلادهم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا يعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحدة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب الياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين اهداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ما كان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحيدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخلفيتها نفوذهم وجميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الاساسي ، فأصبح المسلمون بنظر امام شرعي لاحقة في مستوف الشروط الشرعية ، ولا متغلب بطاع لضرورة جمع الكامة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره ، ويصميه أهل الاسفانة (المهر دار) للجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يختم ما كل ما تأمر بختمه من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يفتحار رئيس السكك الحديدية وأمين السمر له حديثي بيدي بك أحد سرة الاسفانة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطاني أنه كان يقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضوليه بنجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس معكثراً والسلطان منقصب بنذية الادب على سمنه



(المنار : ج ٣ م ١٩) مجموع أسباب استقلال الشريف والرجاء فيه ١٦٧

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... ( فسيت القتب القبيح الذي ذكره به ) لا يحترمني أفلا يحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم ؟  
(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المهودين قد عرضوا استقلال الدولة للزوال ، وأن الخطر عليها في انتصار الألمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فإن الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضاً أنهم يرضون بمجمل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فناية انتقامهم من هذه الدولة أن يمحطوها أجزاء بعضها مستعمل بنفسه تمام الاستقلال وببعضها مستعمل تحت حماية بعض الدول ، كالولايات الأرمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيه ، ويقال أنهم لابد من أخذ شيء منها لأنفسهم ويختلف الآراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا  
(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمه أو حله لا ذلال الاسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا فلت العرب ذل الاسلام » فبدأوا بالعراق والشام ثم مدوا برائتهم الى الحجاز ، فاضطر الشريف الى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز . واستقلاله بالسلطة فهو من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب .

د - يظهر مما قررته أنه لا يمدد مقاومته للاتحاديين خروجاً على السلطان ولا هداً لدوله نفسها لأنه يرى أنهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنايتهم على العرب في الحجاز وغيره  
د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمه للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدولة كما هو واضح مما شرعناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجها من جزيرة العرب مما يهبط بسقوطها ، وتزول السلطة الاسلاميه عنها وعن غيرها مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرها فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلاميه خالصه ، وبوشك أن يكون هذا مقدمه لدوله عربييه اسلاميه كبيره ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من تضاد

## ١٦٨ خلاصة رأى خواص المسلمين فى استقلال الشريف ( المنار : ج ٣ : ١٩٣٣ )

أمراء جزيرة العرب وكونه بحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة فقه مسلم ،  
فالموادة بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم  
يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام اليمن والسيد الادريسي  
وبرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية)  
وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة  
التركية ، وإنما هو كبج لجناح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ،  
فان سقطت الدولة فى هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها  
وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة رعات دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم  
من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ما يخص ما عندى  
فى هذه المسألة ، فإذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن فى زيارة أخرى .

انتهت المحاوره مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقتناع وكذلك المحاورات الأخرى فى الجلة  
فخلاصة ما رتقنا عليه من الآراء فى المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر  
أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أسكن أن يستتبع تأسيس  
دولة عربية قوية مستقلة تمام الاستقلال لانفوذ فيها الدولة الجمعية يصف استقلالها ،  
ولا يكن منهم من يشك فى امكان ذلك ومنهم من يشك فى سهولة حصوله دون امكانه ،  
ولكل منهم دلائل نظرية لا يتسع هذا الجزء لبعثها ان كان من الممكن نشرها  
ثم ان كل فرد من تكلمنا معهم أنصف الشريف فى استحقاقه وقوفه بهذا الاستقلال  
عند حد منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملاً بما ثبت عندنا من ربه نعمة  
الاتحاديين بمحبت كان استقلاله غير مضمّن للدولة إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون  
إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجهوشها المنظمه وتيسر لهم ذلك ، فعلى الشريف ان يصدق  
عليه أنه إما ان ينفع نفعا عاماً أو خاصاً بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد حاقق بشك مثل  
هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين فى الاسلام صار عدو لهم ، وأقدم  
أعدائهم فى هذا علماء الآسفانه والمتدينون فيها وفى سائر بلاد الترك . وما كان منهل  
العرب إلا متأخرين عنهم فى ذلك . وكل عربى مصرى أو غير مصرى عرف كنه  
سياستهم فى العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السورون المسلمون ثم غيرهم



منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائهم في سورية لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التتهلل والتصليب والغريب من الوطن ثبت هندی من طريق الأسرى النمانيين ومن طريق أمريكا وأوربه ، ثم من طريق الحجاز إلا قبلوه مدعنين ، ولعنوا جميع الاتحاديين ، وسباني يوم يصدق فيه ، الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

## السيد عبد الحميد الزهرأوى

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يلز به في مجموعة من إياه قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على انهم لم تقصر في تنظيمه وتكرمه ، وفي الاحتفال له والحقاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، ذا عرف الجمهور منه في أواخر سني حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصاحبة وفصاحة اللسان ، وروعة الحججة وجراءة الجنان ، وما كان لمقل الجمهور أن يدرك كنهه المزاييا والفضائل التي بها كان الزهرأوى في حقيقة جوهره من الحكمة الربانية ، والفلاسفة الاجتماعيين ؛ وإن قضت عليه الأيام بالانقضاء في سلك السياسيين ، تلك الفضائل التي عرفها له كل من عرفه من العقلاء المنصفين ؛ وهي استقلال الرأي وصدق القول وقوة الإرادة والاخلاص في العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجمتها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشغل في طور من أطوار حياته لمنافعه الخاصة ، وإنما فعل عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بأفشاء (جريدة المنير) السرية التي كان يطلبها في حصص بمطبعة الجلالتين وبوزعها في البلاد السورية سرّاً لخدمة جمعية الأنجاد والترقي الأولى والسمى معها لانقاذ الدولة من الإدارة الحميدية المستبدّة ، فعملق بالسياسة من ذلك الحين وظل مشغولاً بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكاة في

الاستعداد والفرصة ، وتقارب الفكر والرأي ، تعارفنا به بالمكاتبة قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كالحبة والوداد ، لم يزد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخاً ، كان كل منا مهلاً إلى الاشتغال بالاصلاح الديني والاجتماعي وعلاقة ذلك بالسياسة لا تخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح ما لم يقيس الآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانة

وفي سنة ١٣١٥ التي أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً في إدارة جريدة (معلومات) المربية في الآستانة ، وكان ما يكتبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا ما يشبه المناقشة في المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) ثم نفتت أفكاره من الآستانة إلى وطنه ، وفي سنة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التي نشرناها ولها في المجلد الرابع من المنار ثم قرظنا فيه المجموع لما طبع على حديثه في مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد مما كنا نكتبه في موضوعها فقد أعلت سعة الحربه هنا وشدة الضغط هناك ، فهاجت عليه حملة المأمم في دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فبهجوا عليه الحكومة فاعتقلوه في الشام ثم أرسل إلى الآستانة ، ولم يكن سبب ذلك التشديد عليه ، والاعضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وابطال التقليد منه غيرة من الحكومة على الفقهاء والصوفية ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء امسية الحشوية الجامدين في الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشرف في المقلم مقالته في الخلافه بامضاء (ع . ز) وهو إمضاء الرمزي لكل ما كان ينشره بمصر ، وقد رجعت تلك المقالة معه عند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة في فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانية) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهي :

ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أئمة المسلمين كافة ، ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما لا تنفع به الاسلام بل قد يكون مازري به ، أو ما يقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله ، فلما طبع مقاله في مصر تحت اسم



١٧٩

هبة الحمد الزهراوى

(المقارن ج ٣ م ١٩)

هاج عليه حملة المأم ، وسكنة الأتواب المباعب ، وقالوا إنه صرق من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى فقبض عليه وألناه فى السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما افترق عليه بين بدي عادل لايجور ، ومهيم على الحق لايجيف ، إلى آخر ما يقال فى الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ، ولم ينف عنه إلا بعد شهر ، مع انه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا يفكره الفارى . والكاتب ، ولا الآكل والشارب ، اهـ أرسل الرجل إلى الآسمانه فاعتقلته السلطة الحميدة هذه لك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلده (حمص) ليكون مقبلاً فيها تحت المراقبة لا يرحها (ويسمى مثله فى عرف الدولة الرسمى «مأموراًمة») فبقى فيها إلى أن فرّ إلى مصر سنة ١٣٢٤ وبقى فيها يشغل بالتحرير فى المؤيد ثم فى الجريدة إلى أن أعان الدستور سنة ١٣٢٧ فماد إلى سوربه فانخب مبعوثاً عن لواء حماه وكان من أمره فى المجلس وبدده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها فى عهد هبة الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحملة الأقلام الذين استسلموا السلطان هبة الحميد وأعوانه وغروهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانونى للاستبداد الذى انقلب إلى جمية الاتحاد والترقى بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية فى إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها فى الأيام الاولى من عهد الدستور كانصرها قبله ، وجاهدها بعد أن صار أمر الدولة كله فى يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسيرة الجمعية منها ما كان يعلم انه لاينال بمعارضتها ، وما كنت أرى - وأنا نال لآسفانة - أحداً من الممارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدهم معارضة لحزب الجمعية فى المجلس وفى جريدة الحضارة التى أسسها والآسفانة ، على كونه من أشدهم انتماعاً بقوة الخصم وبعداً عن الفرور بما كان يروى عن ضعفه ، فجملة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامم والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وان جل عمله كان مع جمية الاتحاد والترقى ، فهو بعد تلك المعارضه فى زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت بيد الجمعية ؛ وأنه لا يوجد في الأمة حزب برحى أن ينتزها منها ، فلم يبق من طريق خدمة الدولة والأمة إلا طريقها ، وهذا الاعتقاد هو الذى حمله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان ، وكان جزاؤه من الجمعية التى أفنى حياته فى خدمتها أن قفلته شر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة فى الشام ١٢ ساعة ، ليحلم كل عربى براها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المفكر ، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياهم محو العربيه من سوريه والمراق ، وحسم البداة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبيد بعضهم بعضاً

كان قبول السهد الزهرراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية بمثابة الاستياء لجمهور طلاب الإصلاح ومحبي الإصلاح الإلأمة العربية العثمانية وسيد السوء الظن فيه ، وأكثر القول بأنه تحول عن سيرته التى كان عليها طول عمره فأثر منفعة الشخصية على مصلحة أمته العربية ، فتحول ذلك الجمهور الذى كان ينوء به ويصفق له الى الخوض فيه ولو كان هقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتحول بمد سن الحنين من عمره الى ضد ما ثبت عليه من أول نشأته ، وما الذنب على العامة فى ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الاذكياء والمتململين الذين سارعوا الى الخوض فيه فقبضهم المصامه ، وكان يجب عليهم التروى والتثبت فى أمر هذا الحدث الجديد لهذا العامل المسقل هذر فيه واجهه اءام لا ؟ ثم التثبت والتروى فى الطعن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متعمد ، لا مجتهد مصيب أو مخطئ ، فإنه أول نتائج الطعن فى مثله — وقل ان يوجد مثله فى طهارة سيرته الشخصية والسياسية هى زوال ثقة الأمة من زعمائها بقىاس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون الا حاسد يذم من الزهرراوى ما يقضى مثله لنفسه ، أو نفى ساء ظنه لسوء نيته وفعله ، أو غيور شهيد المعصية ، قليل الرويه ، يبادر الى ارضاء حيمته ، ولا يحسب حساباً لعاقبة قوله وعمله لم يكن الزهرراوى من أهل الانهواء الذين يجملون مصلحة الأمة والدولة بما



للأغراض ، وعرضة للمواطن والاحتفاء ، بل كان يجب العمل المبني على القواعد  
المقبولة والرياضة المأولة ، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إصابة أغراضهم الضارة  
بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يحاربهم  
بسلحهم فكان من المؤسسين للحزب الحر المتعدل ثم لحزب الحرية والائتلاف الذى  
تكون من هذا الحزب الذى أكثر أفراد من العرب ، ومن حزب الاهلى الذى أكثر  
أفراده من الترك ، وكان لزهراوى وكهل الرئيس في هذا الحزب ، وقد ظفر هذا  
الحزب بالاتحاديين فجذب اليه الجمل النفير من مفكرهم وضباطهم ، ثم أسقطوا وزارتهم  
واستبدل بها وزارة مختار باشا الى لم تكن هي ولا وزارة كامل باشا التى جاءت بعدها  
ائتلافية ولا اتحادية ، وإنما كانتا على كراهتهما لسيرة الاتحاديين ، غير متعصنين  
بعمرة الائتلافيين ، ولا وافقين لهم في كل شيء ، ولذلك سهل على الاتحاديين  
اسقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم  
وقعت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا فكسرت الدولة فيها وألغت  
وزارة كامل باشا العتدارك أمر الدولة بالصليح ، وفي أثناء ذلك جاء الزهراوى بمصر قاصداً  
الذهاب الى أستانه لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقنعناه بأن لا يجعل  
السفر ما يفتنى من وقوع الفتى بالاستاء وقد وقع ما كنا نتوقعه بهجوم الاتحاديين على  
الباب العالي وقتلهم ناظر الحربية فيه واسقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على زنة  
الحكومة ، ولكن صاحبنا كان يصبر على السفر بظن ظنا كاد أو كان يسميه بقمنا  
بأن الاتحاديين لا يثبتون أسبوعاً حتى تسقطهم الأمة وتبديلهم غيرهم فأقنعناه بأن  
يصبر حتى تصدق الأيام ظنه أو تكذبه ، وما اقتنع منا إلا بادلال الصداقة على أنه كان  
يرجع عن رأيه الى رأى صديقه هذا كما نص على ذلك في كتابه الآتى ، وإنما صرحت  
بهذا لأنه من مقدمات الجهد التى أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب .

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللاص كزبه بمصر ولم يدخل هو في  
الحزب ، لأنه لم يكن ينوى الاقامة بمصر ، وإنما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربى  
لمكانته الملموه والاجتماعيه ، وموافقته للحزب في مقاصده الاصلاحيه - فانتخب  
رئيساً في باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاتفاق المشهور



(المنار: ج ١٩ م)

هبة الحميد الزهراوى

١٧٤

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبعدها يكتب حزب اللامركزية  
ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الاستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب فغيره  
بين مصر والاستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب  
من الاستانة إلى رئيس الحزب كل ما يدور هناك فى مسألة إعطاء العرب حقوقهم  
من الإصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه ( كاتب هذا ) مثل ذلك ، وما وراء  
ذلك مما كان يكتبه من البعض أو من كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .  
كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تمتد هيولاً فى السياسيين أنه لحسن  
نبله وصفاء سريره يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ،  
فلما نال له الاتحاديون أنهم يترفون بما كان من خطائم فى تغيير العرب منهم وفى  
محاولتهم تترك جميع العناصر الثمانية وأنهم يرغبون فى إصلاح ما أفسدوا فى ذلك  
لقوتهم فجدد قوة الدولة عليه - صدقهم فى ذلك لأنه معقول عنده ، وعده توجبهم  
منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم ، وصار يرى  
أنه ينبغي لطلاب الإصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الإصلاح ،  
وأنهم إذا أحجموا حل محلهم المناقون وطلاب المنافع ، وكان محققاً مع صاحبه  
هبة الكريم انظروا على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك المظم إلى الاستانة لهذا  
الغرض . أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جعله من الاعيان أحولة يريدون بها  
اصطياد المخلصين من طلاب الإصلاح فى خارج المملكة ليفتسكوا بهم بعد جلبهم  
إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هنالك واق له ، وفيه فوائد منها أنه تجربة  
للإتحاديين وحمية عليهم

قبل منصب الاعيان بقلبك النية الصالحة من غير مشاورة للحزب ولا لأحد  
من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنيتة فيه ، فلما على تعمله ، ولكن الحزب  
أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يعضى فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد  
من المتبين خارج المملكة ، وكان أول ما كتبه إلى فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ  
فى ٦ صفر سنة ١٣٢٢ ( ٦ يناير سنة ١٩١٤ ) ما نصه :

دأخوكم عين بمون الله وعنايته عضواً لمجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون



عن قبولي بها ، والله يشهد إننى إنما قبلت لاتمام العمل وتسلمون قلة الرجال ههنا  
ياأخى ، يفترض بعض المسجلين فالامر فى هذا متروك لى مكتبكم و هممكم . بل أرى  
ان تقديم شكر لصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان فرض الحزب الاصلاح  
لا المشاغبة ولاعداوة اثرتولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالاتحاديين أحد . وقد دار  
بيننا وبين هذا الصديق فى هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومعاتبات لم تخل  
من عدة مناضبات ، واثنى انشر الآن منها كتاباً مطولاً كعبه فى ١٦ صفر سنة ١٣٣٢  
وكتب فى أعلاه « مكتوم كله عن كل أحد » وهذا نصه بحد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوى ﴾

سهدى الأخ الرشيد الولي الحميم الحميد

نحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرمات تحببك لقد عظم شوقى إليها  
الاخ ومضت الايام وأنا أمنى النفس بقرب التلاقى وما زلت راجياً ذلك  
يظهر ياعزيزى أن هتبك على تأخرى هنا عظيم عرفت هذا من كتابك  
الى الاخ الأستاذ . . . ويظهر أن قطعت الكتاب عنى عمد ، استنبطت هذا  
من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عمالك التى أهرقها ، ثم تذكرت  
ماأهد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عمالك مع تلك الوفرة من النشاط  
لا تنفق فى سبيل ما تهزم عليه ، فاستنتجت من هذا التماس - ساعنى الله - على رأى  
ابن حزم - أنك تعدت عدم الدزم فى الكتابة أو هزمت على عدم الكتابة  
وقد ظهرت هنا شائمة أن اللامركزيين فى مصر مشتمون من بقائى هنا ، وأنهم  
قطعوا علاقتهم بى ومكاتبهم لى ، أنا لم أصدق هذه الشائمة وإنما خشيت أن يكون  
بعض الجوابين هناك يصرح نمة مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون  
. . . مثلاً قد شاهد شيئاً من تأففكم لتأخرى فبنى على مشاهدته كلاماً كعبه  
الى بعض معارفه هنا فشطر ههنا وخمس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتى عليها ، ومن الشرح

يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التى جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسى فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا فى ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونا بتوفيق من الله تعالى فوق المأمول، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذى لفق تلقىنا، ثم بعد قليل نفذ صبر البهيم تهنين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقيت يا عزيزى وحدى أمثل الفكرة، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يرشنا من مشرب الجامعة العربية ولا نظرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية، وإنما همما بيروت وحدها لا شريك لها ولكن لأنها مملكتان سايراني وسابرتها ونوادينا جيداً حتى سفرى، ولم يكن مثل هذا النواد ولا ربه بينهما وبين رفقتهم البيرونيين المسلمين

لو عجبت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبعثت المسألة مقطوعة بنراء، إذاً يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وبجماعتنا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرنى على الصبر هناك ممثلاً لفكرة مدة خمسة أشهر - وما هى بالقليلة ولا بالكثيرة - ونمت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختبارى لأوروبا، وما أخرجنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بعد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لأن المعرفة بالتقديم لا تنفى، والمعرفة عن بعد كثير من ما أخذها فهد صحيح، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح

بعد وصولى بقليل عرفت كثيراً من الأحوال الحاضرة هنا، وبعد مدة أخرى عرفت أكثر وكدت أظننى الكفيت وأحطت كل الأحاطة ولكن الآن تبين لى أنه لولا الصبر والثبات لكان مكفى الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول نمت إحاطتى وإنما أقول أصبحت يجوز لى أن أفصل وأشرح بشئ من الطمانينة، وإن تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم فى وقته.

الشرح هنا يملق بثلاثة مواضع (أو موضوعات) (١) أوروبا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الإصلاح الختمى وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى. وإنى أبدأ لكم بالاول نقصر البحث فيه وأشفع بالثانى وأخرت الثالث لطوله وطولته اتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه (أوروبا والعثمانية) لقد كشفت أوروبا آخر سقار من ستر السياسة فى المسألة



## (المنار : ج ٣ م ١٩) رأى الزهراوي الأخير في الاتحاديين ١٧٧

العناية وقررت التداخل في سائر شئونها وإنما لايزالون مختلفين بعض الاختلاف في كيفية هذا التداخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس في أوروبا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمضي ثلاثة أشهر حتى تنخفض الليالي فقلد ذلك الشكل الجديد الذي يتفقون عليه ، والذي أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت هائشة لأن بعض التداخل طب واست مغالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع هدم التداخل البقية منه مع شيء من ذلك ، فانا إذا قلنا بدم التداخل البقية فحينئذ تخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ ببدء السكة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسي آخر إلا أن يكون خفياً ولم أسمع شيئاً من هذا ، وحينئذ لا نجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب فمرف أن الروم جماعات وللأرمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هلم ننظر : أولاً - الروم كلهم جماعة واحدة برأسهم البطرك ولكلها يستبد ربطوه بمجسدين روحاني وجسماني ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثاناً الروم والأرمن لهم جمعيات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جمعيات في مصر وجماعتنا في بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطنة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدوهم فضلاً عن في هذا السبيل ، ويعترفون بنقصاتهم الماضية وينوون أن لا يعودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنيتهم وأقولهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لي ، والسكنى صرنا من جهة قابلهتهم لتطابق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئتم أن نخطووني بتحسين الظان إلى هذه الدرجة - كما أشرتم إلى ذلك في كتاب ... فاني لا أخطاكم بالمحطنة لأنني أجد رأيكم أكثر

## ١٧٨ رجال الاصلاح وقلتهم في العرب (المنار: ج ٣ م ١٩)

من رأيي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فمسي أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .  
هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قلوا في المملكة وقصارا ثم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطريركية وحق المبعوثية وسيقل الالتفات إليهم ، وأما الارمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسينتم لهم في المبعوثية حظ قريب مما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فإن أخاكم الآن يعتبر ممثل جماعتنا وقد فعلت ما تم علي يدي في الكتاب الذي أرسلته الى الاخ الرفيق في البريد الماضي وههنا سأزيد

## (٢) رجال الاصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى :

ما أظنكم .. استغفر الله .. ما أعتقد أنكم في حاجة الى بيان أن رجال الاصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعني رجال الاصلاح الحقيقيين من جموع في موضوع الاصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومررت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهد ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار مما مع الجهاد الاصلاحى . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفضلتهم محبتها وتعشقا بها . فنحن لقلة هؤلاء واقعون أمام حاجتين عظيمين - الحاجة الى تكثيرهم ، والحاجة الى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلةهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلتين عظيمين ، الاول السبات الذي الامة فيه والثاني الجشع الذي أوربا فيه .  
أترك تفصيل هذا الاجمال لحسبكم وحسبناهي في كل موضوع ، وأخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لأنكم علقتم الأمل مرارا على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة أصناف: متاجرون ومتعلمون ومأمورون، فالصنف الاول لافي الغير ولا في النفير من جهة السياسة والاصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني أولاد في ناشئة العمر لا يلقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة



(المنار ج ٣ م ١٩) رأى الزهراوي في أصناف العرب العثمانيين ١٧٩

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون في بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم في هذه المسالك البتة والاولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التي ساقصها الان زهدتني في كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن... ناظم اليوم على الحكومة فيستهي لاجل هذا عزة الدولة ونفسها نسفا، وهو لاجل ذلك ناظم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاد له لانه على زعمه يؤخر حركات العرب، ولا أدري ما هي حركات العرب وأين تسير وأين ترسى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صديقنا ولكن لا ينجح بحوله تعالى، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا، وقد أردت اختباره فوجدته ينجح إلى مصالحة أولياء الأمور وحينئذ يرضى عن كل شيء فانظر يا عزيزي الى الذين يعدون أنفسهم في مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فتعلم كمثل العجائز لا يرضيهن شيء ولا يستطعن حمل شيء.. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الا حفظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فجميع مساكين لا يفهمون من الاصلاح المأمورية، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجيء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة في حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جماعتنا أن تعتمد على أحد منهم، أو أن تعمل صلة ورابطة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكون (فلان وفلان) وكل ما أخبركم عنه (فلان) فهو مراب ببيعة جاءه أخوكم الظمان فلم يجده شيئا . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالهم أربا لا يبههم أو أخيههم أو ابن مهمم مثلا، فن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب في الجهات الأخرى فهم أهل سوريه وأهل العراق وأهل الجزيرة الخالص فالسوريون والعراقيون حضر قد ألفوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا، لا يساعدون ولا ينوون أن يساعدوا، الا يهبون ولا يروق لهم أن يوقظوا . وأما أهل الجزيرة الخالص فهم الاهل وقاهم الله الخير

## ١٨٠ طلب الزهراوى تمضية ناله فى امامته بالاسقانة ( المنار: ج ٣٣ ١٩ )

وشد سواهم، أولئك بحب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضر على قلة فناءهم . وقد فهمت من كقاب الأخ (فلان) كثر او استنبطت كثر او لو كان فى وشع البشر أن توزع ارواحهم على أمكنة متعددة لكانت روحى أوزاعا على اليمن وعسير والحباز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لا يمكن تطبيقها (١) أنظر يا عزيزى أنا لازم لك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس بقليل ، فاني أرجو أن يكثر بوجدى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت عن هذا رأى فمليك عملان ممكنان وعمل يمشى مع الزمان وأنا معك فيه على بعد المقر ، فالأول من المعجلين تبشيري بلفراف عن رضائك خاصة وهو الالم ، ورضاء الرفاق عامة وهو مهم ، والثانى منهما حلك الرفاق على تقديم تلفراف للصدارة يجذبون فيه هذا القميين ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة رقيقة تشويقية ، أما الثالث فهو ما بيننا من أمر إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم وتوزعهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى وإن لم ترض هن هذا رأى فاكعب الى مفصلا ومبيننا كل جهة من جهات الموضوع ، وأنا من عهدت من بدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهى أن الالم لا يجوز بهال من الاحوال ، ولكن الأمة فى كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها فى شىء وأنه مع هذا لا يجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من يهدم أمر المملكة وتركهم وحدهم ، وأنه لابد لنا من رجال ههنا ، وأن أكثر ما يقصر به الرواة من الاخبار غير صحيح ، وإنى منتظر أمركم بسرعة ، وأن شئى عظيم

والسلام على الأخ السيد صالح وجميع المعروف سلم الله تعالى الجميع

عبد الحميد الزهراوى

(١) كنت كتبت الى الأخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صفوة العرب وأعظمهم استعدادا فان كان هناك اصلاح عربى فيجب أن يكون لهم حظ منه وأن تنفى بشأنهم أكثر من غيرهم



(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى يعمناه يعلم رأى الرجل الذي بنى عليه امتياده ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وطمعهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفي هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم فعلوه لأنه من أنجب نجباء العرب لا لذنوب آخر ( والله عزير ذو انتقام )

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصبه فلم أحذف منه إلا أسماء الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الذين قد يظنون أن الاتحاديين ما قتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن رفعوه إلى مقام الأعيان إلا لأنهم عرفوا له ذنباً كبيراً كاتلعيانه للدولة أو لأجتماعه المتصرفه في الدولة . وفريق الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الأعيان الذي رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بيني وبين هذا الصديق الصدوق من الصلة والرابطة

يرى قارىء كتابه أنه قال لي فيه عن نفسه « وأنا من هدت من يدع رأيه أخيراً إلى رأى وليه » وقد أشرت إلى هذه الكلمة في المقدمة التي قدمتها على هذا الكتاب وأقول إنه يعنى بهذا اننى إذا حققت بعد المناقشة معه في الموضوع وجوب تركه لمنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر في غير الاستقانة فإنه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فن نهضت منا حجته قبلها الآخر ، فإذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترقب عليها عمل يرجع هو في العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جملة رضاه عنه في هذا الامر أهم من رضاه الحزب الذي كان سبب ذلك ، وهو صادق في قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندي في صدقه ، وما قلت هذا في بيان كلمته إلا ليعلم المطالع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب على ولا يخدعنى ، ولو كان يفضل ذلك لمحاول إرضائي بأنه يمايل الاتحاديين ، مثل ما يمايلوننا به من انقلابه السواسية ليستفيد منهم في طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض الحقوق ، وما كان يكتب إلى - وهو معتقد اننى سأخط عليه ، ومعه ترك الكتاب لهم - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم في هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أنني أعدته سداجة منه وغلوا في حسن الظن  
وأزبد على هذا أنني عاتبته على بعض ما جاء في هذا الكتاب وغيره عتابا ثقيلا  
جاءت فيه كلمة جارحة فكتب إلي رقعة أودعها كتابا لا قال فيها مانصه :  
« كلمات بيننا »

« في كتابكم الأول كلمة لا أكنم عنكم أنها كسرت قلبي ، إذ لو كنتم هذا  
لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ، ذلك أنكم بنيتهم على نظرية إغراقية بحسن الظن  
بالقوم أن هواء الأسعانة طمس على عقلي وقلي  
« أخوكم يا عزيزي قد عرفتموه بعد أن كان عاش في هذا البلد سنين ، وعرفتموه  
في الاستعانة نفسها ، فلولا ذلك لرجعت إلى نفسي لأرى تغافل أثر البوسفور فيها  
« ولكن كما لم أكنتمكم هذه الحقيقة أتحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل  
حديثكم للقلوب هذه على ما يشبهها من حديثكم اللسانية التي نأفس بها أنفسنا بجلهم  
الذي هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على أنني أؤكد بشرفكم أن انكسار  
القلب الذي أشرت إليه كان آتيا . وأعقبه تذكروا حقيقةكم العالية . أما تأخير كتبنا  
فقد كان عاما حتى شمل الوالد ، فلا نحملوه على ذلك السبب ولكن أبي كرمكم إلا  
يطوب القلب فأخصكم بشكر على هذا » اهـ

فمن كان بينهما مثل هذه الحرية في الخطاب والعقاب لا يفش أحدهما الآخر  
لو كان من دأبهما النفس . وأحمد الله تعالى أنني لم أبطل بهذه الرذيلة ، وأنني أبرئ  
منها صدق الشهيد السعيد كما أبرئ نفسي .

هذا وأنا لم أكنف بما دار بيني وبينه قدس الله روحه من المكاتبات في هذه  
المسألة بل دعوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنتم أهدم معه مجلسين لمدة ثلثة في  
كل يوم وليلة : مجلسا قبل النوم ومجلسا في الصباح . فرأيت به بعد ذلك كله معتقدا  
أن الاتحاديين عازسون على إرضاء العرب ، وأنه يحب مسامرة العقلاء منا لهم على  
ذلك ، وإنما ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن نناله بالسعي مع مجاهدين

وقد وافقته على بقاءه في منصب الاعمان والاسميرار على هذا السعي لأنه إما

أن ينفذ وإما أن لا ينفذ



(المنار: ج ٣ م ١٨) المشانق في سورية - شفق الزهراوى ١٨٢٣

## المشانق في سورية - شفق الزهراوى

جاء في جريدة الأهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت الممنات التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم في دمشق أمام المجلس المسكرى فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . وربما خفف من لوعة الاسى عليه شفق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائرى ابن الأمير عبد القادر وشفق بك المؤيد من أكبر رجال سورية ورشدى بك الشمة من صفوة أعيانها وشكرى بك العسلى وعبد الوهاب بك وعبد الحميد بنى وسليم بك الجزائرى وعبد الفنى العريسى الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابذة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامى وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث فى شؤون طائفة الزهراوى فى سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذى كان ينظر على يد أولئك الذين أزهدت الحبال أرواحهم ، وأودت بعملهم وعلمهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت وبما نبت منه قبل أن يزهر ويشمر

فالمسلمون فى سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز فى طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار على أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القصة » وضاعف فى ذلك أن المدارس كلها كانت فصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بأداب الأوربيين فخذوا حذوهم وساروا فى العلم سبيلهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة فى الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطلعون إصلاحا ولا يطالبون بحق ، وليس للمسيحيين وسواهم ممن يعملون تأثير أو نفوذ لأنهم الأقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمى سورية بذلك الانعام الذى أنعم به إبراهيم باشا بن محمد على باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية، وانحصرت تلك النعمة حتى عهد الاحتلال بأبناء المسلمين السوريين وحدهم وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين في سورية حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبي للأسفانه إلى أن زاد احكامك القوم بالأوربيين ورأوا بأهمهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوه لا ينالهم إنا في مدارس الأجانب في بلادهم، وإنا في مدارس الأسفانه، حتى ان بعض طلبة العلوم الدينية سبهوا إلى ذلك سوام أو ماشوم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة الحكومة وإرادتها، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلماء الأجانب كالشيخ النبهاني الشهير بذي مدارس النصاري.

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوي من أشرف حص وسلالة بيوتهما الكبيرة. بدأ علمه في بلده وأتمه في الأسفانه، وتعلم هناك من السفهاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية، فكان أول ظهوره برسالة ألها في المعتقد الديني لم ترق في هون مشايخ الطرق، فسموا به إلى السلطان عبد الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق<sup>(١)</sup> ولكن الوسطاء توسطوا له - وكان الظلم في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم - فتركه حراً، وأطلقه من كل قيد، فعاد السيد الزهراوي إلى الأسفانه واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انتصار الانكليز على البوير في الترانسفال فلم يفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لالانهم هناؤا انكثرا بنصرها، بل لانهم مثلوا الامة العثمانية والشعب ولم يكن ينضبه أمر كذا الامر، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبجية) حذفوا من قواميس اللغة كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهورية) الخ وما شاكل ذلك من الانفاظ، فصور السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم إلى جهة إلى أن تمكن الشهيد الزهراوي من الفرار إلى مصر كما فر قبله الشهيد عبد الرحمن الكواكبي وكل حر في تلك البلاد من عربي وتركى وغيرهم.



وبما تمتاز الزهراوي وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المصلحين أنهم خير صلة بين طوائف الشعب وفرقه فهم يحثرون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في إصلاحهم، فقد كانت طائفة الامتصاصية في سورية تجمع المشور والنذور وترسلها إلى أغاخان في الهندلان معقد ها ومنهجا يقضي عليها بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور أن هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمة نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوي الذي كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انقصر لتلك الطائفة وقاوم الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصدر لخزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يعجوز الورق وكان السيد الزهراوي يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغة والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شفق في دمشق وهو فتى من حمص كان قد تهرب ولكنه خلع ثوب الرهينة وسار إلى آثار موطنه بحمّة ووجد الاثنان كلتهما في هذا السبيل فكانتهما جميعا لسانين دينيين على دهوة واحدة وطنية وكان الزهراوي ككرا أدب في بلاده اتحاديا يمتد على مذهب الاتحاديين الأولين الذين نالوا الدستور « للاتحاد وللترقي وللإنجاح » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولقت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخوجة شكري أفندي الذي توفي في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالي، ثم ضمت الفرق كلها وألّف منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والترقي كما كانت هي عهد زمامة صادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية قاعدتها انتفاع البلاد بما يجبي منها من الضرائب وباوقافها، فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريس - لانه لم يسمح لهم بمقده في بلاد الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين وعاد إلى الاسكندرية مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذي كان أول المنشوتين في سوريا والهادي الذي تلامذ الشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالإعدام، فبين الزهراوي

في مجلس الألمان إلى أن شنق

وبما امتاز به هؤلاء جميعا شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجفسيية  
العثمانية ، حتى كان الزهراوى يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك  
الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن تزهرق أرواحنا » وله في ذلك مغاضبات  
شديدة مع أصدق أصدقائه ( الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه )  
نقول هذا لأننا بينما للشهد الزهراوى بل بيانا للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها  
ويجول زعمائها الذين ذهبوا جملة لا لجريرة إلا أنهم طلبوا إصلاحا يقبهم البلاد واتقاء  
مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا  
غير متبرج سياسة وبعد أن كان يتمنى لذكر المدينة الأوربية أخذ يكتب ويبحث  
أمنه على الاقتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لا نقدر بلادنا ووطننا إلا  
بالسير على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم واكن لهذه الطائفة مذاهب ومبادئ  
إذا بقي قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجةها خيرا وإلا فقد ذهبت  
الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسهر إلى حيث يراد منها  
لا إلى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

( المنار )

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبا شنق السيد الزهراوى إلى مصر  
وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق  
رزق سلوم القى ذكرته الأهرام في كلامها عن السيد الزهراوى أن تقول في  
نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شتمه وشنق جورج الحداد من  
شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونايغيتهم بنهمة السياسة العربية

﴿ رفيق رزق سلوم المحامي ﴾

نبت هذا الفتى في بيت من أكرم بيوت الروم الأرثوذكس في حمص وتلقى  
التعليم الابتدائي في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل إلى دير البلمند بالكورة  
( لبنان ) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلق



مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسية ؛ وإنما خلق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الإعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسة منها واختار أن يكون محامياً

كان رفيق مريداً وتلميذاً للزهرأوى في أفكاره الاجتماعية ، عاشره فلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حصص أن في مسلمي البلاد فئة تسمى للإصلاح الوطني سمياً لاشائبة فيه للمصيبات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الاستقانة بمساعدة الزهرأوى رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العالية وكلهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهرأوى فانتظم في سلك أعضائه المنقدي الأدبي وانعذب وكبلاً للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنقدي الذين لم يتعلموا شيئاً في غير مدارس الدولة ، فكان خطوباً مفوهاً وشاعراً مؤثراً ، ورغبه السيد الزهرأوى في الكتابة إنشاءً وترجمة وكان يصصح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المهدب بما كان يسقى غرسها في نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على المصيرية التركية ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأ في جرائدهم وكتبهم ؛ وما يقف عليه من أخبار جماعاتهم ، فكان يقابل غلو متمسكي الترك بمجنون خان وهلاكه خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الإسلامية بنظم التصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنقدي الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شفق رفيق رزق معلوم مع السيد الزهرأوى وإخوانه وأخذائه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فإنه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأى أستاذه الزهرأوى في وجوب السعي إلى ترقى العرب في حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنباً هنيئاً جمال باشا بقضي القتل والصلب

٢٨٨ البلاغ الانكليزي المسألة العربية والسلطة الاسلامية ( الفار : ج ٣ م ١٩ )

## البلاغ الانكليزي الى سبي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآن الى الجرائد في القطر المصري

مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن اليوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المذبذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية أن الاوان قد آن لخلع النير التركي عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب في أمانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطررتها في الماضي الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انصرفت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك المرت الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارئ خارجي

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكومة اسلامية مستقلة

« ولا ينبغي أن أحوال الحرب الحاضرة تفاقى العقبات الكثيرة والاعطال في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل



(المنار: ج ١٩٣) البلاغ الانكليزي المسألة العربية والسلطة الاسلاميه ١٨٩

الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان، اهـ

(المنار) قد أسمعنا العاصمة البريطانية هذه أصوات في المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لروتر يؤكد فيها أن انكثرة لا تتوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة. ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعوان والنواب، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلاغاً رسمياً في معنى قطعي يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي نشرناه اليوم دون جمع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ تصريح قلما يصدر من دولة، وهو قد صدر عن أدنى الدول في تحرير العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لغيرها بقيود قلما يستطيع العفلت منها مع بقائها هي في عالم الاطلاق. ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لا تقبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية مسقة. ومعنى كون هذا لا يقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أنه رأي الحكومة الحاضرة؛ أو حزبها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحولها إلى حزب المحافظين. وبهذا التفسير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد في السياسة شيء لا يقبل التغيير والتبديل، فيكون هذا النص لنوا لا معنى له حتى نشر به. وقول هؤلاء حسناً أنه لا يتغير ولا يتبدل إلا بتغير رأي الامة الانكليزية كلها وهي أثبتت الامم وأبطالها لجهلاً ونحو لا في كل شيء.

على أن أم ما في هذا التصريح فخراً لا نصه، وأعني بغضوه اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تستولي على هذه البلاد إذ لا زالت سيادة الدولة العثمانية فيها بما ينشئ أن يجعل بها من قدر الله تعالى، فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أم ما بهم جميع مسلمي الارض، وسنكتب فيها مقالاً نبين فيه ما يسمح لنا الوقت ببيان إن شاء الله تعالى

## الانتقاد على المنار

سيدى الأسعاذ محرو « المنار »

اطلعت على دعوتكم الى نقد « المنار » وعلى فائحة المجلد التاسع هشر فلم يسعنى إلا تحرير هذا الكتاب لفصيلتكم ورائدى الاخلاص وتمنييد ما ينفع الناس .

فأما من نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجلة التى كادت تبلغ ربع قرن من حياتها لا بد وأن تكون قد جمعت من أسباب الحياة ما فيه الكفاية وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس فهد مجرد مرض عاوى إذا « ورج علاجاً ناجماً طادت إلى المجلة نضرتها السابرة ، وعندى أن هذا المرض معصور فى اضطراب إدارة المجلة وفى عدم تنشيطها مع الزمن بخلاف عادتها فى صانف السنين ، ولبيان ذلك أقول أن إدارة المجلة على ما يظهر لى كثرة التساهل مع المشتركين فأنى لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً يدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أجنبية . وقد كنت أباهى بشدة ندقيقى فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبه بعض نظامه مهما يكن يقظاً ، فبت ولا أدري بماذا أدين الحكم . والنقطة التى تنفقونها فى قبول تذكير كل مشترك مرة فى السنة بموعد تجديد اشتراكه لا يساوى شيئاً فى جنب الفائدة المادية التى تحصلون عليها . ولولا أن هذه الطريقة الإدارية ذات نتيجة محسوسة لما استعمرت على انبعاث جميع الصحف المعبرة زده على ما تقدم أن المجلة لا ترسل الى « بانظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لا أنرد لحظة فى دفع ما تطالبون إلى دفعه حتى ولو استقلت عدداً واحداً فقط منها فى السنة كلها معصداً على جمع بقية الأعداد منكم معى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتصلون من الدفع بهذه الحجة فهكون خسارتكم حينئذ غير قليلة . هذه نقطة جوهرية يحسن بسيادتكم النظر فيها لأن نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست فاصرة على فلسفة الدين بل هى تشمل أيضاً



شؤون الاجتماع والعمران ، ولكنكم تلماتطعون ذلك . لأنكر أنكم أحسنتم كثيراً بنشر المقالات الصحفية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم جولات رائقة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبواباً ثابتة في كل عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر بالانكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينية تخوض في كل علم وترى إلى تطبيق العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأى بعض المفكرين تضليل . ولكني لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصاً في عمله ، لأن رجل الدين متى اعتقد أن العلم هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من خرافات الجاهل المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم الكاذبة على حسابها ، وقد لاحظ كثير من محاشيكم ايضاح «المنار» بالصورة حتى رسوم من توفوا من علماء الاسلام فعد ذلك دليلاً على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضاً

وأما من دار الدعوة والارشاد التي تصدون بها تربية أساتذة تهذيب العامة وفشر المبادئ الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يحاربها رجل بهيمه النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لاني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الأمة قد تجردت من تلاميذها العالی المبادئ الأدبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير متدبنة بدين سماوي ، فيصعب على جداً أن أقصور جواز هذا الحكم على عامة الناس الذين لا تثمر مبادئ الاتحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريضة . فيجب إذن تعضيد رؤساء الأديان الذين يسلمون بها دائماً إلى الامام وتقدم العلم والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا أدري كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فإذا فرضنا أن نتحققه في حكم المسقطاع — والناس كثيراً ما يخلفون حتى على البديهيات . وفي خلال كل هذا الزمن يلبث الدين قريب اللغة من شخصيات الأمة ومظهر من مظاهرها — فخرى بكل ذى وطنية صحيحه أن يعم النظر في هذه المسألة الحيوية .

هذا وإنى لأذهب مذهب مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أثنتك في حسن مستقبل الشرق ؛ ولسلك أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلا بد أن يأتي وقت قريب يعطى فيه خليفة الامام محمد عبده حبه من الانصاف على ماخدم به الأمم الاسلاميه من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجتماعي جرى .

وبات « تفسير المنار » معدوداً أعظم تفسيه للقرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف والخلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون هدى المفسر لكشاف بعد قانون الله الذي خلق الكون ودبره . فما العلوم الطيمية إلا خلاصة ما وصل اليه العقل الانساني في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانه . لهذا كانت تفاسير القرآن التي خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ، فانها طار لعلم والدين معاً

فاسمح لي إذا يا سيدي الأستاذ أن أهنيكم على استقبال « المنار » لسنة جديدة من سني حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقي ومتواصله ونجاح ثابت ونصرة للفضيلة والآداب

أحمد زكي أبوشادي  
(طبيب)

نادي مستشفى سانت جورج  
بلندن

(المنار) نشرنا رسالتكم برمتها وان كان موضوع باب الانقضاء على المنار خاصاً بانقضاء مسائله دون إدارته . ونشكر لكم تهنئكم وثناءكم وكل ما كنتم بمداد الاستقلال والاخلاص ، ولا أنكر ما عرض من الخلل على إدارة المنار ولا سيما إهمال التحصيل ، وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وتركى الاشراف عليها ، وتعدد من تولى أمرها منذ الانقلاب العثماني الذي فتح لي أبواب الاسفار الى سورية ثم الاسفانة ثم الهند وعمان والعراق ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وسقوطي إلى الانقضاء في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتشوع غيره من المجلات فهو أن محرره واحد له اعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء للخوض معكم في سائر المسائل التي أود تضموها في رسالتكم المفيدة